الفصل الثاني

تاريخ الفراعنة
(أو الظاهرة الحضارية)

أنا أنبت القمح ،

وأقسم بإله الحبوب في وادي النيل.

بألا يعاني أحد الجوع أو العطش

طوال فترة حكمي.

مقطع من (تعاليم أمنمحات)

الحاكم الأعلى...إنسانٌ يحمل على عاتقه مصير ملايين البشر...في مختلف العصور يطلق عليه البشر مسميات عدة منها الحاكم ، و الفرعون، و الملك، و الإمبراطور ، و الرئيس ، يربط الناس رفاهيتهم و حياتهم عمدًا أو بصورةٍ غريزية بقرارات ، و قوة عقل ، و مظهر حاكمهم ، الذي يصنع بل ، و يجسد شكل دولتهم نفسها. و بغض النظر عن صفاته الطبيعية الخاصة، لكن دائمًا ما يكون وسيماً ، و قوي البنية ، و يمتلك صفات تفوق البشر العاديين، فهو يشبه الآلهة. فالقوة و الجمال هما من يحكمان العالم. هكذا تدّعى الانتخابات الشرعية - للوصول إلى الديمقراطية الحديثة. منذ آلاف السنين قبل هذا الأمر ، كانت السلطة تمسك بزمام الأسرات المُختارة ، التي نشأت من تزاوج بين الإله و سيدة أرضية. و يشارك الشعب ، الذي تحدوه الآمال في تحقيق النصرعلى قوى الشر و استعادة العدالة ، و تتويج الحاكم ، فهو في واقع الأمر كان تجسيدًا واضحًا للإرادة العليا ، التي قررت مصير مُؤيديها مسبقًا.

تشتق كلمة فرعون من المصطلح المصري القديم بر عا- (القصر العظيم)،

و الذي استخدم من أجل الإشارة إلى حاكم مصر العظيم. حتى الرومان الذين حكموا مصر كتبوا هذه التسمية بداخل الخرطوش مسبوقاً بلقب خاص و هكذا حتى وصلت تلك الكلمة إلى اللغة المعاصرة. في عصر نهضة الحضارة المصرية القديمة كان الفرعون يتقلد خمسة أسماء. الاسم الأول هو حورس ، إله الصقر، ابن إيزيس و أوزوريس ، فالفرعون يُعتبر تجسيدًا حيًا لهم على الأرض. الاسم الثاني- «حورس الذهبي»- و هو هالة حورس التي تنبعث من الشمس. الاسم الثالث- (السيدتان) – و هو مرتبط بآلهة المراكز الرئيسة لمصر العليا و السفلى (الكاب و بوتو ، و هما من الأماكن المقدسة و قبلة زائري المقدسات) ، الأولى على هيئة أنثى النسر و هي «نخبت» و الثانية إلهة على هيئة الحية و هي «واجيت»، و بدمجهما معًا أصبحا رمزًا لوحدة مصر. الرابع كان يسبقه لقبّ ملكي هو «ملك مصر العليا و السفلى». نُقشت على خرطوش بيضاوي الشكل ، و الذي شهده العالم أجمع و هو عبارة عن حبلٌ مُلتف على مشبك. أما الاسم الخامس و الأخير ، هو الاسم الشخصي للفرعون، والذي كان يسبقه لقب «ابن رع» ، و نُقِش هو الآخر على خرطوش.

يدهشنا استقرار التنظيم السياسي للفراعنة ، و الذي يعد في الحقيقة نواة الحضارة المصرية. فقد ظل دون تغيير قرابة الثلاثة آلاف عام ، و استمر لفترة طويلة من الزمن أطول من تاريخ روسيا أو دول أوروبا مجتمعة، بينما كان يعاني تنظيم السلطة المركزية من التغيرات الجذرية بصورة متكررة. كان المفهوم الراسخ لأسس الدولة المصرية القديمة ، و السعي إلى خلق تناغم سلمي، قائم على خدمة الآلهة ، و بناء المعابد ، و استعادة سيادة القانون من خلال القضاء على الفوضى (الشر) ، المُجسدة في أعداء مصر ، والانتصار للحقيقة على الكذب ، و الوحدة الرمزية مع الكون ، من عوامل قيام السلطة المصرية. حيث كان الفرعون تجسيدًا لقوة الحياة ، و إرادة الآلهة، و الكاهن الأعظم ، و الكائن الأرضي الأوحد ، الذي يتواصل مع العالم الإلهي و هو من يمنح الحياة المادية و الروحية إلى رعاياه. فكان يجب أن تقدم القرابين باسمه هو فقط. لم يمتلك أي من كان ، من الرعايا حتى و إن كان من المقربين ، الحق في أن يتعامل مع الآلهة مباشرةً.

حتى الآن ينتقد العلماء هذا الأمر ، لكن و على الرغم من ذلك يستخدمون تصنيف التاريخ المصري إلى مراحل ، و يُدعى مقترح «مانيتون» ، و طبقًا له فقد حُكمت مصر من قبل ٣٥٠ فرعون ، الذين أسسوا ثلاثين أسرة. و يبدأ عصر الأسرات منذ أن تولى الفرعون الأسطوري مينا (مينيس) حكم مصر ، الذي قام بتوحيد مصر العليا و السفلى في دولة واحدة في مطلع الألفية الرابعة و الثالثة ق.م. و نُسِبَ إليه قيام الدولة الموحدة ، و اختراع الكتابة ، وتقسيم البلاد إلى أقاليم إدارية يرأسها الحكام. في واقع الأمر ، تشهد الوثائق المحفوظة لدينا ، بأن الفراعنة الذين تولوا حكم مصر بعد الملك مينا ، شنوا الحروب على الدول المجاورة لمصر بشكلٍ مستمر و هم الذين يشكلون الآن الأسرة الأولى و الثانية من المملكة الأولى (٣٠٠٠-٢٧٧٠ ق.م). و في الأسرة الأولى من تلك الأسرات، نشأ الملك «نعرمر» ، توجد لوحة رائعة مصنوعة من الأردواز (محفوظة في متحف القاهرة) ، مُصورٌ عليها نعرمر مرتديًا تاج الفرعون ولحية مستعارة- رمز السلطة، و هو يطارد أعداء مصر. الإله الصقر ، الذي يوجد بجواره، ويمنحه النصر. طابق بعض العلماء بين نعرمر و مينا ، و وفقًا لوجهة نظرآخرين ، وتحت هذا المسمى يختفي حورس «عحا» وريث نارمر.

لـــوح نعـــرمـــر

طبقًا للتقاليد السائدة ، أسس مينا أول عاصمة لمصر- مدينة«منف» ، القابعة على ضفة النيل ، على الحدود بين مصر العليا والسفلى، و توجد تحت رعاية الإله «بتاح». أصبحت منف مركزًا سياسيًا و دينيًا للبلاد ، وهنا كان يجرى تتويج الفراعنة. حيث كانت مدينة كبيرة يوجد بها مقر الحكم ، وتحيط بها الأراضي الزراعية، و الحقول المثمرة ، و أشجار النخيل. في الجنوب ، في سقارة ، قامت مدينة الموتى و هي واحدة من المدن الرئيسة في مصر القديمة. يعود اسمها ، الذي ما زال كما هو حتى وقتنا هذا، إلى إله الموتى ، الصقر ، الذي يسبح بالقارب ، في مصر القديمة في سقارة. أنشأ مينا لنفسه مقبرتين ملكيتين-

الأولى القبر الرمزي في أبيدوس و المقبرة الأصلية في سقارة. كانت حياة وموت الملك محاطين بالأساطير. و وفقًا لواحدةٍ منهم فإن، الإله ـ التمساح «سوبك» قد أنقذه على شاطئ بحيرة موريس، حيث تقع بحيرة الفيوم المشهورة قديمًا ، ووفقًا لأخرى أنه قتل على يد أفراس النهر في أثناء الصيد و هو يبلغ من العمر ٦٢ عامًا.

لـــوح نعـرمـر

تشير الأسرة الثالثة إلى بداية عصر الفراعنة بناة الأهرامات العظيمة. ترتبط بداية الأسرة بالملك«زوسر» ، الذي كان يُعرف في مصر القديمة بلقب «الساحر» و«الجذاب». حيث كان يعني اسمه الملكي«الجيد الإلهي». ذكريات حكمه للبلاد امتدت لآلاف السنين. و دخل زوسر التاريخ ببنائه للهرم المدرج في سقارة و المجموعة الجنائزية الذي لا مثيل له. فقد دشنهما أقرب أصدقاءه، وهو أمحوتب، المهندس المعماري ، الطبيب ، حامل أختام الملوك ، ابن كانفر ، مؤسس العمل في شمال و جنوب مصر. فاقت شهرة ايمحوتب شهرة الملك نفسه ، لكن الأجيال الأخرى صنعت له تمثالاً و أصبح مقرونًا على الدوام بالملك زوسر.

لاحقًا ، و بعد آلاف السنين يأمر بطلميوس الخامس «إبيفانس» بأن يقوم بنحت لوحة على صخرة تُنقش عليها قصة الفقر المدقع الذي ضرب مصر: حيث استمر انخفاض منسوب مياه النيل و انحسار الفيضان لمدة سبع سنوات متتالية، و عم الجفاف ، و الجوع. وقعت هذه الأحداث في عصرالفرعون زوسر، الذي صور بأنه مُخَلِص البلاد من الفقر الذي أنهكها. و توجه بعد ذلك إلى الكهنة حينها أدرك الملك زوسر أن الإله «خنوم» ، الذي صوره المصريون القدماء على أنه إنسان له رأس كبش ، هو المسيطر على منابع النيل في«إلفنتين»*، و وضع زوسر كلتا قدميه في النيل ، و بعد أن رفع نعليه لم تعد المياه. لذا قرر زوسر على الفور استرضاء الإله بتقديم القرابين و إقامة المواكب الاستعراضية

* - إحدى جزر مصر النيلية في مدينة أسوان.

على شرفه. و أهدى زوسر أراضي كثيرة من الجنوب حتى إلفنتين إلى خنوم ، فأعاد المياه مجددًا. وقد حدثت سنوات المجاعة في عصر حورس الصقر، أحد ملوك الأسرة الأولى ، الذي تولى أمور البلاد لمدة ألفي عام. إذا كان القحط قد حل في عهد زوسر أو الملك بطلميوس لقرر استدعاء روح السلف القدامى من أجل أن يكشفوا البلاء عن مصر سرًا. على الأرجح أنه يوجد اشتقاق للأحداث، حيث تمنح الأرض لخنوم شيءً من أعمال بطلميوس. تحفظ الأسطورة المعلومات عن سنوات القحط و الخدع السحرية للأجداد ، المُسخرة لرفع منسوب مياه النيل.

هناك حدث واحد على الأقل معروف في فترة حكم الفرعون زوسر. فقد انطلق في حملة إلى سيناء ، حيث يوجد تصوير له و هو يضرب العدو بالصولجان. تحتوي «حكايات بردية ويستكار» الشهيرة على جزء فارغ ، يتوقع البعض أن هذا الفراغ يحتوي على وصف لفترة حكم زوسر. لكننا عرفنا بعض المعلومات عن هذه الفترة الزمنية من خلال الأشياء المنسوبة إلى«نب كا» ، حيث تربطه صلة قرابة مع زوسر ، و منها قصة عن حوادث غريبة في حياة المجتمع المصري. على سبيل المثال قصة تحكي عن خيانة زوجة أحد الكهنة لزوجها مع رجلٍ من العامة ، و عن ثأر زوجها منها ، فبواسطة تمثال من الشمع على هيئة تمساح ، يتصيد اللحظة المناسبة ثم يتحول إلى تمساح حقيقي يأكل الزاني ، و كذلك كان يُحكم على الزوجة الخائنة: بأمرٍ من محكمة الروح بأن يتم إحراقها.

أما عن الأسرة الرابعة ، فيعد الفرعون «سنفرو» مؤسس تلك الأسرة (٢٥٧٥-٥١ ق.م) ، فقد حُفظت معلومات طريفة عنها في برديات «ويستكار».

في فترة حكم سنفرو تم بناء العديد من الأهرامات في مكانين: الأول في «ميدوم» ٢٠كم جنوب سقارة ، أما الثاني في دهشور. و استمرارًا للتقاليد الجيدة ، أنشأ المهندسون المعماريون أشكالاً أصلية و متقنة

للأهرامات. و يوجد في معبد سنفرو الجنائزي قائمة بممتلكاته ، التي حملتها المواكب إلى القرى المختلفة. كان يُرمز إليها بسيدات شابات ، تحملن الهدايا إلى الملك. حيث كانت الدولة آنذاك مزدهرة اقتصاديًا. ذكرت أسفار التاريخ معلومات عن حملة عسكرية أسفرت عن ٧ آلاف رأس ماشية كبيرة حلوب و أُسِرَ فيها ٢٠٠ ألف شخص. في عهد سنفرو حققت البعثات العائدة من

سيناء نجاحًا باهرًا ، حيث بجلوا رمز الإله ، فشن الغارات على النوبة و ليبيا، وأرسل السفن إلى بابل و لبنان.و حدث إصلاح مهم في نظام حكم الدولة في عهد سنفرو. حيث أصبح الوزير رئيسًا للسلطة التنفيذية ، و الشخصية الأولى في الدولة بعد الفرعون ، و حصل على سلطات واسعة. فتحكم في الموارد الاقتصادية ، و إدارة الدولة ، و إقرار و استعادة العدالة ، و بهذا الشكل أصبح الذراع الأيمن للفرعون.

و بعد أن تحقق الرخاء و الطمأنينة في الدولة ، شعر سنفرو بالخوف من المستقبل ، لذا حاول أن يستشرف المستقبل. كما في بعض الحالات المشابهة ، توجه سنفرو إلى أحد العرافين يطلب منه التنبؤ بالمستقبل.

تمكن العراف «نفرتي» من إلقاء نظرة على أربعة قرون من المستقبل وتنبأ بوقوع حادث مروع و مدمر ، و غزو الغرباء لمصر ، و هجر القصور و المعابد....

أبو الهول و هرم خوفو.

وبدأ العصر الذهبي للمملكة فقط ، باعتلاء العرش ثلاثة حكام عمالقة بعد سنفرو و هم: خوفو ، و خفرع ، و منكاورع ، الذين شيدوا الأهرامات على هضبة الجيزة ، التي تُعد حاليًا من أهم رموز مصر. و كأنه لا توجد أحداث أو حقائق جديدة معروفة عن فترة حكم خوفو ، فهو دائمًا ما يذكر في التاريخ على أنه مشيد أكبر الأهرامات في مصر ، الذي يتميز بطرازه الحديث و كبر حجم أحجاره. اعتلى خوفو العرش عام ٢٥٥١ ق.م و تقريبًا لم تبق أية شواهد على عصره.

أساء اليونانيون ، الذين تحدث معهم «هيرودت» أبو التاريخ ، بجميع الوسائل إلى سمعة هذا الفرعون ، على الرغم من أن عبادته ظلت قائمة حتى عصر الإسكندر المقدوني. فقد أتهم بالخسة الشديدة: فكما زعموا أنه أغلق المعابد ، و أجبر المصريين جميعًا على العمل في معابده الخاصة ، و حتى ابنته جعلها تعمل في بيوت الدعارة من أجل جمع المال اللازم لبناء الأهرامات. لكن تتحدث النصوص الحالية عن كون خوفو إنسانًا ضليعًا في مختلف العلوم ، و في المخطوطات القديمة ، نسبت إليه أبحاث عن عدد الغرف التي أقامها للإله تحوت و تشييده معبدًا رائعًا في «دندرة» .

و تحكي قصة من برديات «ويستكار» * عن هذا الأمر و تدعى «حكاية الملك خوفو و السحرة».

بعد فترة حكم لم تدم طويلاً للملك جدف رع ، الذي أقام مقبرة لنفسه في أبي رواش ، اعتلى العرش الملك خفرع العظيم ، وريث و سليل الملك خوفو. لم يحفظ لنا التاريخ أية وثائق ورقية عن فترة حكمه ، لكن الآثار الحضارية المادية مثل الهرم و البقايا الرخامية ، و تمثال الفرعون من الديوريت يقف خلفه صقر، باسطًا جناحيه فوق رأس الملك ، و أبو الهول الكبير ، و هو تمثال وحيد ضخم ، منحوت من الصخر ، كان رمزًا للعبادة حتى ظهور المسيحية ، وظل اسمه خالدًا منذ آلاف السنين.

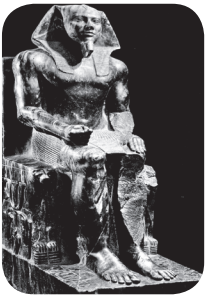
تمثال الفرعون خوفو

أنشأ فراعنة الأسرة الخامسة «هليوبوليس» ، مدينة الشمس ، التي أصبحت المدينة المقدسة للإله رع. و هم مثل أسلافهم حيث قاموا ببناء الأهرامات في «أبو صير» و سقارة. في البداية يؤكدون بشكل واضح على نسبهم إلى الشمس ، التي أنجبت أول ثلاثة ملوك في هذه الأسرة. حيث أقاموا جميعًا المعابد المبهرة ذات المسلات الضخمة و قدموا

* يشتق هذا المسمى من البرديات ، التي يمتلكها هنري ويستكار ، حيث تحتوي علي قصص خيالية مختلفة تعود للحقبة الفرعونية.

قرابين لا تعد و لا تحصى - إلى الشمس - كي تهبهم قوة الحياة. وخاصةً في المعابد الشهيرة للملكين ساحورع و ني وسر رع. ظهرت نصوص تحمل اسم «نصوص الأهرام» في هرم«أوناس» أحد ملوك الأسرة الخامسة. وهي تحتوي على صيغ دينية بحته و تعاويذ ، تجعل الفرعون تحت حماية الإله و كذا حمايته من الدخول في عالم الغيب.

قويت سلطة نبلاء العواصم في عصر الأسرة الخامسة ، و لم يغفل دور حكام الأقاليم ، الذين أمعنوا النظر في مناطق الثروات الكبيرة والسلطة المطلقة. قام المصريون بغزوات ناجحة في ليبيا و النوبة. فعلى نقوش معبد ساحورع الجنائزي صُورَ العديد من الأسرى الأجانب و عدد كبير من الماشية. وقد جلبوا من الجنوب أشياءً عديدة منها الراتينج٢ ،العطري ، و الذهب، والأشجار القيمة. في القصر كان الأقزام الأسرى غير مهانين في القصر ، ذلك لأنهم يرتبطون بالطقوس ، التي تقام على شرف «بس» إله الأقزام ، الذي يحميهم من قوى الشر.

تواصل العصر الذهبي و استمر لقرونٍ عدة. مأساة الانفصال ، التي تنبأ بها الساحر «نفرتي» ، ما زالت بعيدة ، و لكن لسببٍ ما بُنيت أهرامات فراعنة الأسرة الخامسة في سقارة ، و خاصةً صغيرة الحجم منها ، و نادرًا ما كانت تتضاعف سلطة حكام الأقاليم ، بعد أن أسسوا من تلك الأقاليم دولة داخل الدولة.

اختفت أسباب الوصول إلى الحكم في غياهب الزمن في عصر الأسرة السادسة ، لكن الأسطورة التي ترجمها مانيتون ، تنص على أن الملك «تيتي» مؤسس تلك الأسرة قد قُتل على يد حارسه الشخصي ، و تدل هذه الإشارة على وجود فتنة داخل البلاط الملكي. تقاسم وريث العرش «بيبي الأول»،«ميرنرع»، الحكم مع أخيه الصغير بيبي الثاني ، الأمر الذي لم يحدث له مثيل من قبل. كانت تبدو وثائق بيبي الأول غامضة و غير مفهومة ، حيث إنها كانت تشهد على العديد من الأعمال المرتبطة بحريم الملك، و التي كان يعرف بشأنها الموظف الكبير «وني» ، الذي احتفظ بسرها. حتى أنه ترقى في المناصب المرموقة، و حقق العديد من الانتصارات على قبائل الرحل المُعادين لمصر ، وخدم

وطنه على مدار حكم ثلاثة فراعنة ، لكنه لم يخبر أحدًا على الإطلاق عما شاهده أو سمعه في الحريم الملكي. و كان يقوم بالعديد من الأعمال الرائعة مثل استلام حجارة الجرانيت من مقالع حجارة أسوان لبناء هرم ميرنرع، و التوابيت من طره ، و قام بشق خمس قنوات في منطقة وادي النيل للسماح بمرور السفن ، فأصبح حاكمًا لمصر السفلى.

أخبرتنا مخطوطات القائد العسكري الملكي عن الغزوات التي قامت بها مصر في كوش ، و بابل ، و ليبيا ، و وادي الحمامات ، القابعة في الصحراء الشرقية ، و جباية الجزية ، و القبض على الكثير من الأسرى. لم يكن هذا الترحال ، الذي قاموا به إلى تلك الأماكن البعيدة خطرًا للغاية ، و إنما كان يتوافق مع ما أسموه «بعثات سلام» للقبائل المتمردة.

قام «حرخوف» أحد القادة العسكريين ـ بعدة غزوات في «كوش» ، وكان أول من فتح المناطق الجديدة و جلب من المناطق البعيدة قافلة كبيرة من الحمير المحملة بالأخشاب ، و العطور ، و الزيوت ، و جلود الفهود ، وصمغ الصنوبر و غيرها الكثير. كان أكثر الأشياء إبهاجًا للفرعون الصغير قزمًا أحضره حرخوف. أمر الفرعون حرخوف قائلاً: «تتمنى جلالتي رؤية هذا القزم أكثر من الأشياء التي تحضرونها من مناجم سيناء و بونت». يبتهج القائد العسكري ، و يقوي دفاعات الدولة ، و يتخذ كافة إجراءات الحيطة و الحذر و يحضر إلى الحاكم«القزم» ، الذي يشغل مكانة مهمة لديه في رقصاته الشعائرية.

اعتلى بيبي الثاني العرش و هو يبلغ من العمر ستة أعوام فقط وحكم مصر ٩٤ عامًا بمشاركة والدته. حيث كان آخر فراعنة الدولة القديمة المبهرة ، الذي أرسى الأسس الاقتصادية و الفكرية القوية للحضارة المصرية القديمة. احتلت فرق من القوات المصرية مناطق جديدة ، حيث قامت بحملات في فلسطين ، و استقروا في الواحات الأساسية في الصحراء الغربية ـ الخارجة والداخلة ، التي شقوا فيها أهم طرق التجارة عبر الصحراء الكبرى. لكن ، على الرغم من النجاح الباهر ، الذي حدثتنا عنه مدونات التأريخ الملكية ، وجهت ضربة قاضية إلى سلطة الملك من خلال تجاوزات حكام الأقاليم و كهنة

المعبد، الذين أعفاهم الملك من الضرائب و شمل هذا العفو النبلاء أيضًا. ارتبطت سنوات القحط بتراجع فيضان النيل ، و توافقت كذلك مع ضعف السلطة المركزية.

انعكس انهيار الدولة في الأقاليم المدمرة على شكل نظام الري، الذي تطلب أعمال الإدارة المركزية. فإن عواقب هذا الانهيار سوف تؤدي إلى إثارة المجتمع. ينتهي زمن الفتنة و يبدأ عصر المملكة الوسطى الذي تتوفر فيه نصوص كثيرة من التعاليم ، التي تركها الفرعون إلى ورثتهِ. و يبرز فيها موضوع المرض سبب الفوضى و انهيار البلاد ، و اقتحام الغرباء للوطن ، وضمان الحياة في سلام مع المجموعات المتباينة في جنوب مصر ، و تأمين الحدود الشرقية و الغربية من البدو الرحل.

و بدأ الصراع من أجل السلطة بين جماعات إهناسيا و طيبة بتحقيق نجاحات متفاوتة.

استردت الدولة عافيتها في عهد فراعنة أسرة منتوحتب *، و أصبحت عاصمة مصر هي طيبة. تم توحيد مصر مرة أخرى ، و تحكي النقوش عن الانتصارات على القبائل المعادية ، التي هاجمت الدلتا و مقالع الحجارة القابعة في الصحراء.

و بعد حوالي ٢٠٠٠ عام حكمت الأسرة الثانية عشر على مدار قرنين من الزمان. في الحقيقة قامت في عهدها ثورة عبادة آمون ، إله الأشمونين القديم ، الذي أصبح المعبود الخاص بمؤسسي أسرة – أمنمحات الأول («آمون في الصدارة»). ظهرت تلك العبادة للوهلة الأولى لدى الأشمونين كواحدة من إحدى القوى الثماني الأزلية ، و أصبح الإله حاكمًا لمصر. لاحقًا اندمجت عبادته مع عبادة الإله رع ، عبادة الشمس الرئيسة في مصر ، و سمى الإله الجديد ب آمون – رع .

«تعاليم أمنمحات» ، اسمها مشتق من اسم الفرعون أمنمحات الأول وهى موجهه لنجله،- هذا النداء كان مؤرّقا للملك. حيث إنها تدعو الحاكم إلى التفاني في تأمين البلاد و ثرواتها ، و ينصحه بعدم الثقة في أحد ، حتى أقرب

* حمل ثلاثة فراعنة من المملكة الوسطى هذا الاسم ، و تعني ترجمته «(الإله) منتو راض».

الأقربين إليه. في إحدى المرات ، عندما كان الملك متعبًا و هو في طريقه للراحة سمع صوت الأسلحة فلم يستطع أن يقاوم المتآمرين. هذه الرواية تُعد الأولى من نوعها في الأدب العالمي ، حيث تدل على المكيدة و الانقلاب على القصر ، وانقطعت الأصوات في «حكاية سنوهي» الشهير ، الذي خدم في جناح الحريم الملكي لسنوسرت الأول ، الذي اعتلى العرش بعد أمنمحات الأول. في أثناء الحملات العسكرية أصبح سنوهي شاهدًا على المحادثات السرية ، والتي علم من خلالها بشأن التخطيط لمؤامرة في القصر. خائفًا من أن يفشي هذا السر والمشاركة في الحرب الأهلية ، قرر سنوهي الهرب من مصر.

جُمِعَتْ في تلك الخطة «تعاليم مريكارع» ، التي حفظت قائمتها في متحف الإرميتاج الحكومي. قصة المؤامرة و التجسس أصبحت ركنًا أساسيًا في الأدب المصري آنذاك ، فقد شهدت على الخوف الذي تسلل إلى قلب الفرعون عند علمه بمحاولة الإطاحة به عن الحكم. فتشكلت فرق لحماية

الفرعون، عين في حياته وريثا ليشاركه في الحكم ، و تفاقم التجسس في القصر ، وظهرت وظائف خاصة بالمحققين ، الذين يدعون أنفسهم «القابعين فوق سر القصر».

رحل الفرعون سنوسرت الأول عن طيبة و أقام ، في المدينة القريبة من منف، هي اللشت ، التي يقع جنوبها واحة الفيوم. استصلحت هذه المنطقة من جديد و أصبحت حصنًا منيعًا للأسرة الجديدة. و بُنيت الأهرامات و مقابر النبلاء حول مدينة دهشور ، و اللشت ، و اللاهون ، و هوارة. و عاش في طيبة أيضًا الأشخاص المقربون لسنوسرت الأول ، حتى يكسب مودة كهنوت آمون. و لا ننسى كذلك معبد بتاح في منف. كما يبدو أن الشعور السيء للفرعون من احتمالية حدوث مؤامرة في القصر ، علمه درسًا جيدًا. و ازدهرت المدينة المقدسة «أبيدوس» ، التي كان يحتفل فيها بعرض المسرحيات الدينية للإله أوزوريس. أما الآن يمكن - ليس فقط - للفرعون ، و لكن للموتى البسطاء أيضًا الاعتماد على المبررات في مملكة أوزوريس و السعادة في عالم الموتى في أثناء الخضوع للمحاكمة.

و من بين الأعمال المهمة التي قام بها الفرعون سنوسرت الأول ــ استصلاح و زراعة الأراضي في منطقة الفيوم ، التي أصبحت فيما بعد واحدة من أخصب الأراضي الزراعية في مصر. و أسس الفرعون أيضًا مدينة كروكوديلوبولس(باللغة المصرية ـ شدت) ، مدينة التمساح ، التي كان فيها الإله سوبك ـ إله التمساح. بلغ حجم المساحة المزروعة بواسطة بوابات الأرض حول البحيرة حوالي ٢٠٠٠كم مربع.

شيد فراعنة الأسرة الثانية عشر عددًا كبيرًا من الآثار المعمارية. ومنها مجمعات مخصصة للمعابد الجنائزية ذات متاهات ، و مقابر النبلاء ، والقصور الملكية. حيث كان هذا هو النظام الخاص بتخطيط المدن. استردت مصر هيبتها في عهد سنوسرت الثالث من المملكة الوسطى. اشتهر حكمه بالغزوات العسكرية الناجحة في فلسطين و كذلك كوش ، التي احتلتها مصر بالكامل حتى الشلال الثاني للنيل. و حُفظت أعماله في ذاكرة السكان المحليين. و بعد مرور قرن من الزمان تم تأليهه و عُبدَ في المعابد ، وانتشرت عبادته في تلك المنطقة.

في عهد سنوسرت الثالث خضعت النوبة لحكمه. و أقيمت اللوحات، التي نُقِشَ عليها حدود الدولة المصرية في الجنوب ، على جزيرتي أورونارتي وسمنة. و ظهر بين إليفنتين و سمنة ثلاثة عشر قلعة. قائمات على روابي أو على جُزر في وسط النيل ، و قد أُمدوا بأنظمة التعقب و الإشارات ، حيث أتاح هذان النظامان تعقب تحركات القبائل النوبية وقت الشعور بالخطر. بُنيت القلاع و الأسوار المحيطة بها من الطوب اللبن ، حيث كان يوجد بها أبراج مُحصنه تربطها الطرق بعضها ببعض. و بصورة تدريجية أسست حولها المعابد و المنازل ، التي كانت عبارة عن مراكز إدارية و مراكز تفتيش تخدم السلطات المصرية.

منحت السياسة القوية و الصارمة التي طبقها سنوسرت الثالث تجاه الأجانب إمكانية تقوية الحدود الشمالية و الشرقية للبلاد. بعد أن قام بالعديد من الحملات العسكرية إلى فلسطين وجه المصريون ضربة قاضية

للفلسطينيين على مشارف شكيم و قاموا بتوفير وقت كبير من الراحة من أجل التركيز على بناء و تطوير الدولة و حماية حدودها. و لكن لم تفلح الاتجاهات الطاردة في التغلب عليهم. و قد حصل الحكام على سلطة مطلقة، و من ثم سلموها إلى ورثتهم. و كان الكهنة يقومون بخدمة المعبد ، و نادرًا أو ذات مرة بأن يكون الملك هو أحد كهنة المعبد ، الذي يحمل صلاحيات الفرعون ، حتى أن التأريخ كان يقاس بطريقتين ـ وفقًا لسنوات حكم الفرعون و أصحاب السلطة. كانت السلطات المحلية تحت قيادة الأخير.

انخفض بصورة مفاجأة في عهد حكم أمنمحات الثالث عدد قبور النبلاء. و أقيمت في الفيوم المتاهة الشهيرة ، و معبد الفرعون الجنائزي ، الذي يتكون من العديد من الغرف ، و الممرات ، و التقاطعات ، حيث لا تقل في إبهارها للناظرين عن الأهرامات في شيء. و أصبح يُنقش على النصب التذكارية والجنائزية وكذلك على التوابيت ، التي يمتلكها ليس فقط الملك و إنما موظفو الدولة أيضًا ، الذين كانوا يوفرون لأنفسهم أماكن لائقة لدفنهم فيها.

بعد انتهاء ولاية أمنمحات الثالث تبوأ العرش اثنان من الحكام كان أخرهما امرأة و بعد ذلك اندثرت تلك الأسرة. تسلل الأعداء ـ من قبائل الرحل ذات الأصول المختلطة تدريجيًا حتى استوطنوا دلتا النيل ، حيث توجد مراعي الماشية. و أطلق عليهم ، وفقًا لتاريخ مانيتون ، الهكسوس ، التي تعني ترجمتها من اللغة المصرية «حكام البلدان الأجنبية». كان الهكسوس في واقع الأمر يضمون العديد من القوميات المختلفة. مستغلين تدهور مصر الاقتصادي ، احتل الهكسوس ، بالقرب من دلتا النيل ، جزءًا من مصر الوسطى ، و أسسوا عاصمتهم في أواريس (حديثًا منطقة التل الكبير) ، و تقلدوا الألقاب الملكية ، و لقبوا أنفسهم بـ «أبناء الشمس». و استمر احتلال الهكسوس لمصر قرابة المائة عام. مصر التي كانت موحدة في وقت ما انقسمت إلى ثلاثة أجزاء: الدلتا ، التي سكنها الهكسوس ، و مصر العليا و عاصمتها في طيبة ، حيث ظل حكم مصر قائمًا ، و النوبة التي استقلت لفترة قليلة من الزمن.

لم يحقق هذا التقسيم السلام للبلاد. بل أدت الحروب الدائمة ، التي

كانت سجالاً بينهم ، إلى خراب مصر. و توفى «سقنن رع» حاكم طيبة بعد أن تلقى ضربات من بلط الهكسوس (فقد لُحِظَ على مومیائه آثار ضربات بلطة). في العام ١٥٥٥ ق.م تولي الفرعون «كاموس» حكم البلاد الذي أصر على إعادة أمجاد مصر و مكانتها. فقد صاح قائلاً: «أريد أن أعرف مدى قوتي، إذا كان أحد الحكام في أواريس ، و آخر في كوش ، فليحكم كل منا الجزء الخاص به». لم يبق الكوشيون في النوبة. و بعد أن أضمروا العداء إلى أسيادهم ، كانوا على استعداد لدعم ملك الهكسوس ، فقد وعدهم بالإبقاء على استقلالهم. تمكن رجال الملك كاموس في لحظة حاسمة من القبض على أحد رُسل الهكسوس ، الذي كان متوجهًا إلى كوش ، حاملاً رسالة إلى حاكمها المحلي ، و التي كانت تحوي طلبًا من ملكِ الهكسوس بشأن المساعدة الحربية من كوش واعدًا إياهم بتقسيم مصر بينهما بالتساوي بعد تحقيقه للنصر. و بعد القبض على الرسول الفاشل أُرسلَ إلى أبوفيس الأول ملك الهكسوس حاملاً تهديدات بالقتل ، و بهذا وجه كاموس ضربة قاضية إلى قادة الهكسوس ، و عاد إلى طيبة محققًا الانتصار.

فشل كاموس في استعادة أواريس ، لكن الفرعون تحتمس الأول تمكن (يعني اسمه «المولود من تحوتي» ، سنوات حكمه ٢٧ ــ ١٥٥٢ ق.مـ من طرد الأعداء و هو مؤسس الأسرة الثامنة عشر التي تشير إلى الانتقال للمملكة الحديثة في تاريخ مصر القديمة. و بدأ بعد ذلك نضالاً طويلاً وعنيفًا من أجل استعادة أواريس ، فقام بشجاعته ببث الحماسة في قواته ومحاصرة المدينة مرارًا و تكرارًا. و بعد أن شعرت قوات الفرعون بنشوة النصر انطلقت في طريقها إلى حصن شاروهين في جنوب فلسطين و احتلته آملين في تأمين حدود مصر من الشمال الشرقي. مجددًا تم توحيد هذا البلد تحت لواء طيبة ، التي ولد بها الفرعون أحمس. أما في القصر قد لعبت النساء ، التي كانت حول الفرعون أحمس ، دورًا كبيرًا على سبيل المثال والدة الفرعون أحمس الملكة إياح حتب «فليسعد القمر» ، التي أخمدت العصيان في مدن طيبة ، و قامت بتوحيد و استعادة الروح القتالية للجيش ، و نفرتاري ـ زوجة أحمس، التي بلغت من العمر أكثر من ثمانين عامًا ، و هي أول امرأة تشغل منصب مستشارة ومساعدة الملك في شئون الحكم كافة.

و في فترة حكم الأجانب لمصر تحطمت الكثير من المعابد ، و تطلب إعادة هيكلتها مرة أخرى إلى نصف قرن تقريبًا. و كانت سياسة الفرعون آنذاك مُنصبة على إعادة بناء الدولة في الجنوب و توسيع حدودها. كانت الحملة ضد كوش ناجحة للغاية للفرعون أمنحوتب «آمون راض» ، الذي تولى حكم البلاد بعد أحمس ، من الممكن أن نحكم – ظاهريًا ـ خلال عهد الفرعون بالوكالة الخاصة تحت قيادة «الابن الملكي لكوش» كان موظف قلعة بوهن السابق أول من شغل هذا المنصب. بدأت المعركة و تعرضت الحدود الغربية المصرية لهجمات القوات الليبية.

لكن لم تكن النجاحات التي تحققت في النوبة كبيرة للغاية. فاندلعت الثورات في النوبة في عهد الفرعون تحتمس الأول ، فأصبح لا يوجد مفر من شن حملات عسكرية على تلك الدولة. نتيجة لذلك تخطت الحدود الجنوبية للمملكة المصرية إلى الشلال الثالث ، و استقر تحتمس في الجنوب. بينما في الشمال دخل في صدام مع قوات مملكة ميتاني الواقعة في سوريا وفلسطين. و كان النصر حليفا للقوات المصرية و أقام الفرعون تحتمس الأول لوحة من أجل ذلك الانتصار تقع على ضفة نهر الفرات ، يمكن رؤيتها من الحدود الشمالية لمملكته. و هكذا تحققت جميع المقومات من أجل قيام الإمبراطورية. قلل الفرعون من بناء الأهرامات المستخدمة من أجل دفن الملوك ، و أمر بإقامة مدينة جديدة للموتى في الجنوب من طيبة ـ وادي الملوك – و حتى الأودية الصحراوية.

و بعد فترة قصيرة من حكم تحتمس الثاني تولت زوجته مقاليد الحكم. هذه الملكة المُفعمة بالنشاط ، الجميلة ، الداهية «حتشبسوت». كان يفترض أن يتولى تحتمس الثالث مقاليد الحكم رسميًا خلفًا لأبيه ، لكن تدريجيًا وضعت حتشبسوت السلطة في قبضتها ، و احتوت الألقاب الفرعونية كافة في نهايتها علي حروف التأنيث ، حتى تتوافق و جنس الحاكمة. من أجل التأكيد على شرعية سلطتها أمرت بأن يتم تدوين مولدها من الإله آمون على نقوش المعبد. حيث تعد الملكة حتشبسوت هي ابنة الإله آمون ـ رع، الذي تجسد في شكل فرعون ، و الملكة اعحمس (الأم الأرضية). نسبت بداية الأسرة إلى الإله تحوتي ، و أنجبت الملكة حتشبسوت في حضورآمون والتاسوع المقدس.

اتباعًا لأوامر آمون قامت بتجهيز بعثة إلى بلاد بونت (الصومال) حاليًا ، و التي دونت على جدران معبد الملكة الجنائزي في الدير البحري الذي يحتوي على تماثيل غاية في الروعة و الجمال ، التي صنعها المهندس المعماري«سنموت». بنى المعبد في قلب الصخور و يعتبر سلسلة من القصور المتتابعة. ترتفع تلك القصور عن الحافة و ترتبط بعضها ببعض عن طريق منحدرات. و يقبع معبد الإله آمون في داخل الصخرة نفسها.

صورت الرحلة الشهيرة إلى بلاد بونت في مناظر. حيث تكون الأسطول من خمس سفن حربية ذات ثلاثين مجدافا بكل واحدة منها ، تسبح في البحر الأحمر. و بعد أن رست السفن على الشاطئ ، التقى المصريون بأهالي بلاد بونت ، الذين منحوهم الهدايا من أجل الإلهة المحلية «حتحور» ، و كذلك تمثال للملكة حتشبسوت. في المقابل حصلوا على العطور ، و الذهب ، والعاج، وجلود الحيوانات ، و أشجار المُر لزراعتها في المعابد المصرية ، لكن الأمر المهم هو حصولهم على الاعتراف بشرعية الملكة الفرعون. فيبدو أن رؤيتهم للسفن الحربية للوهلة الأولى جعلهم يتخذون ذلك القرار الحكيم. من الآن و حتى وقت بعيد سوف تصبح مصر مكتفيةً من الذهب ، و الإلكتروم ، والعطور، فهذه هي الأشياء الأساسية من أجل أداء مهمتهم الأساسية على الأرض ألا وهي خدمة الإلهة. نجحت حتشبسوت في شغل مكانة عالية بين الكهنة والنبلاء، حيث أن تحتمس الثالث عاد لتولي العرش بعد مُضي عشرون عامًا ، أي بعد وفاة الملكة.

تحتمس الثالث

كان تحتمس الثالث ، مثله مثل حتشبسوت، فقد كان حاكمًا نشيطًا للغاية. في عصره تكللت محاولات إقامة إمبراطورية مصرية بالنجاح. و كذلك قام بالعديد من الحملات العسكرية ، التي سجلت فيما بعد في«الحوليات» كانت أشهر المعارك آنذاك هى معركة نهر العاصي ضد ملك قادش، الذي أسس تحالفًا قويًا للوقوف ضد مصر ، فقد انضم إليه ٢٣٠ حاكم

من سوريا و فلسطين. تجمعت القوات عند حصن «مجدو». و على الرغم من نصائح القادة العسكريين اختار تحتمس الثالث من بين ثلاثة طرق تؤدي إلى الحصن أكثرها خطورة ، أظهر خلالها براعة فائقة في قيادة الجيش وشجاعة خاصة. و قام فورًا بالقضاء على مقاومة القوات السورية والفلسطينية، لكن لم يتمكن المصريون في الإبقاء على هذا النجاح طويلاً.

فقد تحصن الأعداء في مجدو ، و بدأ حصار السبعة أشهر لهذا الحصن. طلبت القوات العفو من تحتمس في نهاية المطاف بسبب الجوع المُضني الذي ضرب الحصن المحاصر. جُرد القادة المهزومين من أسلحتهم ، و أسرت الغالبية العظمى من السكان و طرد البعض الآخر من مصر.

و على الرغم من الحصار الذي استمر لشهور طويلة ، لم يحقق ذلك التحالف الهدف المرجو منه و هو الثأر. و توالت بعد ذلك الحملات على سوريا الواحدة تلو الأخرى. أصبحت قادش و ميتاني في مقدمة الخصوم الأساسيين الذين قاتلهم تحتمس الثالث أكثر من مرة. انطلقت المعارك في الجنوب ، في كوش ، حيث نجح الفرعون في الوصول إلى الجندل الرابع من النيل ، جبال البرقل المقدسة. هنا تأسست مملكة نباتا ، التي أصبحت فيما بعد عاصمة المملكة السودانية ، و بدأ منها بناء معابد آمون. و تحولت مصر في نهاية الأمر إلى إمبراطورية تمتد حدودها من الفرات و حتى السودان.

في نهاية عصر تحتمس الثالث أشرك معه الفرعون القادم أمنحوتب الثاني، الذي سيقود فيما بعد العديد من الحملات ، من أجل تأمين الممتلكات

المصرية. وُلِعَ وريثه الشرعي تحتمس الرابع منذ الصغر بالرماية. و تقول الأسطورة إنه ذات يوم شديد الحرارة غط في نوم عند براثن أبي الهول العظيم، بعد أن أنهكه التعب من الرماية. فظهر له أبو الهول في الحلم و وعده بأنه سوف يجعله فرعونًا جزاءً له على إخراجه من تحت الرمال. و حقق أبو الهول أمنية تحتمس الرابع ، و تحققت النبوءة. فقد أصبح آخر فراعنة هذه الأسرة المحاربة على ضفة الفرات.

في عصر أمنحوتب الثالث (١٣٦٤-١٤٠٢ق.م) أصبحت المملكة المصرية قوة عظمى. حيث امتدت سلطة الفرعون إلى بابل ، و أشور ، و ميتاني، و خيتا، وأيضًا الاسيا في قبرص التي كانت تقبع في منطقة مستقلة عن مصر. و تم غزو النوبة حتى الجندل الرابع من النيل. و في عصر أمنحوتب الثالث أصبحت المكان المفضل إلى قلب الفرعون من أجل الصيد. بُنيت المعابد التي ليس لها مثيل ذات التصاميم الهندسية المبهرة على تلك الأرض. واحدة منها ، في صولب، كانت مُخصصة من أجل إقامة الاحتفال باليوبيل الملكي ، و ظهور قوة الفرعون ، و انتصار قوة الخير على الشر و تدعيم سلطة الفرعون ، الذي أطلق على نفسه اسم «الشمس المرئية». كانت في معبد صولب صور لأُناس أجانب هددوا مصر، و كان يجب على الملك أن يقضي عليهم بواسطة السحر.

نتعمق قليلاً إلى الجنوب و تحديدًا في «سد نجا» ، حيث قام أمنحوتب الثالث ببناء معبد على شرف زوجته الملكة «تي»* ، و هي أم الفرعون المستقبلي أمنحوتب الرابع ، الذي عرف باسم أخناتون. كانت لديها شخصية قوية ، استخدمت نفوذها ، و كانت كثيرًا ما تتولى القيام بأعمال الشئون الداخلية،

و خاصةً في إقامة زواج الأسر الملكية. أقام الفرعون قصرًا في الملقطة(المعبد الجنوبي في مدينة طيبة) و أمر بشق بحيرة بالقرب من المعبد من أجل تسلية الملكة. حكم أمنحوتب الثالث دولة قوية و غنية. حيث كان مركز هذه الإمبراطورية هو مدينة طيبة ، التي أنفق في تزينها أموالاً طائلة. بالقرب من معبد الملك الجنائزي كان يوجد طريق أبي الهول ، اثنان منهما الآن يقبعان علي شاطئ نهر «نيفا» عند مبنى أكاديمية الفنون. وضع أمام المعبد تمثالان عملاقان للفرعون ، و بسبب ضخامة حجمهما أطلق عليهما اسم «عمالقة ممنون». تعد أعظم البنايات في فترة حكم الفرعون أمنحوتب الثالث- معبد في الأقصر ، مُخصص لآمون ، معبد «موت» في الكرنك ، تحيط به البحيرة المقدسة ذات الجعارين العملاقة على الشاطئ ، التي ترمز إلى الولادة المتجددة للإنسان.

* اتضح من خلال البحث في سلسلة نسب الملكة «تي» بأن والدها كان يشغل منصبًا مرموقًا في القصر"المشرف على الماشية". وتدل اللوحات الخاصة بها أنها كانت امرأة بارعة الجمال ذات شخصية قيادية. فالمجد كل المجد لأمنحوتب الثالث ، الذي تمكن من دحر العادات الأرستقراطية من أجل الحب.

تمكن أمنحوتب الثالث من خلال سياسته الحكيمة في الحفاظ على السلام. كان الترف يحيط بالفتيات من أبناء الحُكام الأجانب ، اللواتي عشن في الحريم الملكي. و في الغالب كنا يتعلمن و يتربين في مصر ، و بعد عودتهم إلى وطنهم مرة أخرى كان المصريون يثقون في تحول ولاء بلدانهم إلى الفرعون فيما بعد.

و بعد وفاة الملك أمنحوتب الثالث انتقلت السلطة إلى وريثه أمنحوتب الرابع(١٣٦٤-١٣٤٧ق.م) ، الذي تولى العرش و هو في عمر الخامسة عشر ، و تزوج بعد ذلك من الملكة نفرتيتي. و كشفت بداية حكمه بعدم حدوث الكثير من التغييرات ، ربما تغيرت فقط مسمى الفترة التي تولى فيها الحكم ، حيث أطلق عليها الكثيرون حقبة «عبادة الشمس». دفعت الأحداث المتتابعة العلماء للتفكير في تقييم شخصية أمنحوتب الرابع و أسباب إصلاحه.

أخناتون و نفرتيتي رفقة الرعية

و اتخذ الفرعون لنفسه اسمًا جديدًا ، و أصبح يسمى ب «أخناتون» ، الذي يعني «الروح الحية لآتون» (عُرف في أكثر الترجمات انتشارًا ب ــ «المخلص لآتون» نادرًا ما كان يتغير أسلوب النقش و الرسم: حيث يظهر الفرعون وزوجته في أشعة الشمس الواهبة للحياة التي لها نهايات تشبه الأيدي البشرية. و هذا يشير إلى أن أخناتون كان يعبد الضوء الذي تبعثه الشمس ، حيث بجله، شأن القوة التي تنبعث من الضوء الإلهي.

ما نعرفه عن أسباب عبادة الفرعون هو أنه سمع بشيء ما في طيبة دفعه إلى إقامة عاصمة جديدة ، في السنة السادسة من حكمه ، في مدينة العمارنة و حملت اسم أخيتآتون و تعني(«أفق آتون») و أُعلِنَ بعد ذلك عن عبادة الدولة الجديدة. و هي عبادة الشمس.

شيدت مدينة أخيتاتون بسرعة فائقة ، و يقع في مركزها معبد الإله آتون ، و يوجد بداخله حجر بن- بن المقدس ، الذي صور عليه ، وفقًا للنبوءة، المرة الأولى التي تسطع فيها الشمس ، و وضعت كذلك لوحة عملاقة مصورٌ عليها أخناتون و عائلته وهم يعبدون الشمس. ازدهرت المدينة بسرعة كبيرة، وسكن القصر ، بالإضافة إلى الأسرة المالكة ، النبلاء الجدد ، والمقربون إلى الفرعون ، و كذلك المهندسون المعماريون ، و النحآتون ،

والحرفيون، والفلاحون. في أثناء حكم والد الفرعون كان يحيط به كبار رجال الدولة، لكن كانت الغالبية العظمى تتكون من العاملين أصحاب الطبقات الوسطى في المجتمع ، الذين كان من بينهم الكثير من الموظفين بالدولة. كانت الملكة نفرتيتي ترافق الفرعون على الدوام وكذلك شاركته عبادة الشمس المانحة للحياة. بينما الملكة تي ، والدة الفرعون، و زوجة أمنحوتب الثالث ، التي تُعد رمزًا للأجداد القدامى ، كانت تُثني على انجازات فتاها ، وصُورَ كلاهما على أحد النقوش و هما يعبدان الإله آتون سويًا.

مكنته كل هذه العوامل: العزيمة التي لا مثيل لها ، و الإيمان القوي ، والوفاء الكبير لزوجته الجميلة و رفيقة دربه المخلصة ، و كذلك دعم النبلاء الجدد له ، من نشر فكرة عبادة التوحيد ، و الإيمان بإله واحد ــ و هي عبادة الشمس ، التي لم يعتنقها الشعب بأكمله. فأحد أكبر الأخطاء التي ارتكبها أخناتون هو أنه أضمر العداء لعبادة أوزوريس ، الإله الذي احتل مكانة خاصة آنذاك في قلوب المصريين من طبقات المجتمع كافة. انتشرت في مصر أحاديث عن إغارة الحيثيين على ممتلكات الفرعون الموجودة في آسيا. ظهرت» كيا» في حياة الملك. و كان من الصعب عليه ، بعد تلك السنوات الطوال من العلاقة القوية التي جمعته بنفرتيتي ، المصورة برفقته علي النقوش كافة ، بأن يقوم باتخاذ زوجة جديدة ، لكن على ما يبدو أنها توفيت و تركت زوجها وحيدًا مع فتياته ، و من هنا فقد أخناتون سنده الحقيقي في هذه الحياة. لذا ضم

إليه سمنخ كا رع ، الذي جعله خليفته و زوجه من إحدى بناته ، لكن اتضح أنه قام بخيانة سيده.

و تولى توت عنخ آتون حكم مصر و هو يبلغ من العمر – آنذاك- تسع سنوات(١٣٤٧- ٣٨ ق.م) و عرف بعد ذلك باسم توت عنخ آمون ، و ذاع صيته خاصةً بعد تربعه على العرش ، و اكتسب شهرة عالمية بعد اكتشاف هوارد كارتر مقبرته في العام ١٩٢٢م .

خلدت ، المقتنيات التي تم العثور عليها داخل المقبرة من تحف للفن المصري القديم ، اسم توت عنخ آمون و مجدته في مصر القديمة. أما عن الأحداث فلايوجد منها ما يستحق الذكر. لكن هناك حقيقة واحدة و هي أن الفرعون أبدل اسم «آتون» ليصبح توت عنخ آمون بعد أربع سنوات من توليه الحكم وهذا يدل على انهيار أمجاد أخناتون. لم تقم في مصر أية ثورات ، فعلى ما يبدو أن توت عنخ آمون كان يقود مصر في الطريق الصحيح ، و أعاد إليها المعابد العظيمة ، و خاصة معابد طيبة ، و أعاد إحياء عبادة الإله آمون.

توفى توت عنخ آمون عن عمر يناهز الثمانية عشر عامًا. و كان آي ذراعه الأيمن ، و الوصي على العرش في أثناء فترة حكم الفرعون صغير السن ، حيث تحكم في مقاليد الحكم كافة ، لكن بعد فترة قصيرة تسلم القائد العسكري الناجح حورمحب الحكم. و أنهى كلاهما حكم الأسرة الثامنة عشر التي كانت توجد في منف.

حاول رمسيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة عشر أن يحذو حذو أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشر ، حيث أنه حاول بشتى الطرق أن يعيد مصر إلى سابق عهدها على الساحة الدولية. فقد اعتلى العرش في سن متأخرة ، لذلك لم تستغرق فترة حكمه وقتًا طويلاً ، و سرعان ما انتقل العرش إلى ابنه، وشريكه في الحكم سيتي الأول(١٣٠٤-١٢٩٠ق.م) رئيس سلاح الرماة الأسبق ، الشغوف بحب الخيل ، الابن ذو الإرادة الكبيرة ، و الذي يشعر باحترامه لذاته. حيث ارتبط اسمه بالإله المحارب سوتخ ، فقد نسب إليه هذا الاسم لقضائه معظم أوقات حياته في الحروب و المعارك. كان من الضروري قبل كل شيء بالنسبة له هو تطبيق النظام على أملاكه الموجودة في الشمال. و بعد تأسيس تحالف قوي ، واضعًا إياه تحت رعاية آلهة مصر القديمة و هم –آمون ، و رع ،

وبتاح تمكن من البقاء في فلسطين ، و المناطق الشمالية من سوريا. و كانت نتيجة الحرب مع الحيثيين مبهرة للغاية ، و تكتمل قوائم البلدان المهزومة في معبد الكرنك بالمسميات الجديدة. على الأرجح أنه أعاد الأمجاد إلى الأسرة التاسعة عشر. فتم إعادة تشغيل مناجم الذهب ، و شق الطرق عبر الصحراء الشرقية ، وبناء أكبر و أروع مقبرة في وادي الملوك ، حوائطها مغطاة بنقوش تتحدث عن وصف أحداث الشعائر الجنائزية و نصوص أسطورية عن البقرة السماوية. دخل رمسيس الثاني (٢٤-١٢٢٩ ق.م) وريث الملك سيتي الأول التاريخ من أوسع أبوابه كأعظم الفراعنة شهرة ، و كان لوالديه الفضل في هذا الأمر، وخاصة أباه ، الذي أراد أن يرى ، و هو على قيد الحياة ، المُلك الذي سيتولاه وريثه. وهكذا اعتلى الحاكم الشجاع العرش ، صانع إمبراطورية السلام، مالك كل شيء تقع عليه أشعة الشمس. اشتهر رمسيس الثاني بهزيمته لأعداء مصر كافة بمن فيهم الحيثيين.

و هنا اصطدم رمسيس الثاني بآمال مواتاليس و قواته - و تشكلت القوات من تحالف أكثر من عشرين دولة و كان يرأسه الحيثيون. و انطلقت المعركة الحاسمة في قادش. أخذ برفقته أشهر قادة الجيوش ، قاهرالأعداء ، الذي يصاحب الملك في كل المعارك ، و قد كانت القوات المختارة تحمل اسم آمون و رع ، و أخبرتهم تقارير المنشقين عن أماكن تواجد القوات الحيثية، ثم قام بمهاجمة مدينة قادش. لكن هناك في السهل القابع وراء النهر تجمعت قواتهم و هي على أتم استعداد للقتال.

ظهر على حين غرة أمام المصريين حائط من العربات الحربية للعدو قسمت صفوف قوات المشاة المصرية. و انقضت بهجوم القوات المعادية مباغت علي خيمة الفرعون ، التي بالكاد نجحت في بلوغها بعد صراعهم مع الأسد المقاتل، أنهكت المعارك غير المتكافئة القوات المصرية ، لكن الإمدادت وصلت في الوقت المناسب ، و كانت تتكون من قوات مشاة و عربات حربية. انطلق الفرعون بنفسه إلى المعركة ست مرات. توقفت إراقة الدماء ، لكن نتيجة المعركة كانت غير معلومة. على الرغم من الخسائر الفادحة لم يظفر أي من الجيشين بالحرب.

أُعلِنَ السلام في عام ١٢٧٨ ق.م ، الذي حمل النهاية للعداء المستمر بين تحالفين عظيمين –من نصوص «مباحثات السلام و الإخوة» و وضعت باللغات

المصرية القديمة و الأكادية. و وقع عليها الملك الجديد للحيثيين خاتوسليس الثالث. و نصت المعاهدة على عدم الاقتتال و التحالف في حالة غزو قوات خارجية لأي من البلدين ، و استقبال اللاجئين ، و التخلي عن النعرات الإقليمية.

وضعت المعاهدة تحت حماية القوى الإلهية ، و عاش كلا الشعبان في سلام و تناغم طوال نصف قرن ، و ظهرت واحدة من أعظم القيم الأخلاقية للعالم المتحضر و هي الثقة في الكلمة و الإخلاص في تنفيذ الوعود.

تم توقيع تلك المعاهدة في عاصمة مصر الجديدة ، «بر ـ رمسيس» ، الواقعة في منطقة دلتا النيل و تطل على أهم الطرق الإستراتيجية. أصبحت هذه المدينة من أهم المراكز السياسية و الدينية ، و كذلك كانت تجسيدًا لروح العصر الجديد. كان يجب أن توحد إمبراطورية السلام على أساس الدين العالمي. حيث كانت معابد الإله آمون ، و سوتخ ، و أوزوريس ، و الإلهة السورية عشتار من أهم المعابد الموجودة آنذاك. بدأ القيام بالبناء العظيم في النوبة ، التي أصبحت إقليم مصري فيما بعد. جذبت النوبة الفرعون ، فأقام بها العديد من المعابد ، لعبادة الإله آمون ، الذي منح الملك الانتصار على الأعداء ، بما في ذلك الانتصار في معركة قادش. فكانت جميعها مرتبطة فيما بينها و مع المعابد الرئيسة مثل آمون في مصر ـ الكرنك و الأقصر التي كان لها نظامٌ خاص في عبادة آمون. كان معبد أبوسمبل من أعظم البنايات ، التي شُيدت في عهد رمسيس الثاني ، فقد كان من أحب المعابد إلى قلبه. و صورت في ذلك المعبد إنجازات الفرعون كافة. كان المعبد الكبير يشير إلى التناغم العالمي للإله رع ، فكانت هديته لنفرتاري زوجة الملك أنها رزقت بغلام. شُيدت هذه المعابد في قلب الجبل فهي تعكس مدى عظمة البناء و التشييد في ذلك الوقت. و ما زال تصميمها المعماري لغزًا محيرًا ـ فهي عبارة عن ظاهرة عجيبة حيث إنه في العاشر من يناير و حتى الثلاثين من مارس و من العاشر من سبتمبر و حتى الثلاثين من نوفمبر تتعامد أشعة الشمس تدريجيًا من الشروق و حتى الغروب على أوجه التماثيل الأربعة للآلهة الجالسين داخل المعبد.

اصطدم أحفاد رمسيس الثاني مع أهمية حماية الحدود الشمالية والغربية للإمبراطورية حيث ظهرت مشكلة جديدة هي مشكلة ـ الهجرة. بدأت هذه الظاهرة في البلقان و بلاد البحر الأبيض المتوسط بنزوح السكان المهاجرين إلى مصر. و أصبحت مصر مهددة من البحر و البر. و بحلول فترة تولي

أحفاد رمسيس الثاني للحكم قاموا ـ على الأرجح ـ بإخراج القبائل السامية من مصر ، و قد ذُكر هذا الأمر في العهد القديم. تقلد مناصب الحكم بعد ذلك آخر الفراعنة العظماء و هو رمسيس الثالث(١١٨٤ـ٥٣ ق.م). نجح في تحقيق الانتصارات الداخلية على الليبيين و القبائل التي كانت تهدد استقرار مصر من ناحية سوريا ـ فلسطين. و أنشأ أسطولاً ضخمًا ، و قام بتدعيمه بأفضل فرق المشاة اللازمين لحماية مصر.

أُقيمت المعابد الجديدة التي زينت مدينة طيبة. و كان معبد رمسيس الثالث الجنائزي من أعظم البنايات التي أقامها في مدينة «هابو» و تميزت المدينة بالكثير من المباني المخصصة للعبادة ، و الحدائق ، و البحيرات. و مع ذلك لم يمر كل شيء بسلام على سماء مصر. فقد أعرض العمال و الصناع في دير المدينة عن العمل «أضربوا عن العمل» ، مطالبين بالأجور ، و تعجبهم من التنامي المستمر في سلطة الكهنة مما أدى إلى تولد نزعة انفصالية. في العام ٣٢ ق.م في عهد الملك رمسيس الثالث دُبرت مكيدة في حريم القصر الملكي. و أمل المتآمرون في الإطاحة بالفرعون عن العرش ، و قد بلغ بهم الأمر حد القتل، و منح السلطة إلى ولي العهد «بنتاوره» ، ابن الفرعون من إحدى زوجاته ، وقد شارك في تلك المؤامرة شخصيًا. و ظهر بين صفوف المتآمرين خائن قام بنقل الأخبار كافة إلى الفرعون. و قُدِمَ المتهمون و المشتبه بهم إلى المحاكمة. لكن بعض القضاة لم يتمكنوا من الصمود أمام سحر حريم الملك و تحولت علاقة الحب بالنسبة لهم إلى قفص اتهام. و عرفنا من خلال النصوص القديمة أن أربعة منهم حُكِمَ عليهم بالإعدام.

بعد انتهاء فترة حكم الفرعون رمسيس الثالث حمل ثمانية من فراعنة الأسرة العشرين نفس الاسم الشهير ، لكن لم يتمكن أحد منهم أن يعيد إلى مصر مكانتها العظيمة. في عهد رمسيس الرابع تم تقسيم مصر إلى شطرين: شمالي و جنوبي ، اللذان أصبحا تحت سيطرة العديد من الحكام. لم تُعرف أسباب انهيار الأسرة العشرين ، لكن على الأرجح أنه كان بسبب انتقال السلطة إلى العديد من الحكام الأجانب بعد وفاة رمسيس الحادي عشر. القرون (٨ ـ ١١) ق.م كانت فترة انقسام مصر. حيث توالت النكبات على الدولة. و ظهرت بعض الشخصيات السياسية بين الفينة و الأخرى ، لكن مرت فترات قاسية على الاقتصاد المصري. فقط المكانة المقدسة الخاصة بالفرعون ظل دون أي تغيرات. الدولة التي كانت تحكم المنطقة في يوم

من الأيام أصبحت الآن فريسة سائغة للمحتلين الأجانب. حيث إنه في عصر الأسرة الثانية و العشرين اعتلى العرش الحكام الليبيون ، الذين اصطدموا في الشمال مع الإمبراطورية الآشورية العظمى ، و في الجنوب مع دولة كوش العظمى.

في فترة وجيزة أعاد «شيشنق» مؤسس الأسرة الثانية و العشرين الأمجاد إلى مصر ، بعد أن قام باحتلال مدينة «جازر» الفلسطينية ، و منحها إلى حاكم مملكة بني إسرائيل سليمان مناصفة مع ابنته. و هي الابنة الوحيدة التي أنجبها سليمان من زوجاته أجمعين ، و بنى فيها قصرًا غاية في الروعة والجمال.

و وجد «يربعام» في مصر مأوى له ، و قام بتقسيم جزء من أملاكه بعد وفاة سليمان. مزقت الفتن و النزاعات الداخلية مصر ، خاصةً و مع ازدياد قوة كهنوت طيبة ضعفت القوة المركزية ، و في الجنوب قام التابعون السابقون- دولة كوش بتطوير أنفسهم و اكتساب القوة.

بحلول القرن الثامن ق.م عزز الكوشيون من قوتهم و قرروا الهجوم على الأراضي الجنوبية المصرية. و في عهد «باكن رنف»(٧٤٠-٧١٣) هاجمت القوات الكوشية مصر ، حيث اصطدمت بقوات فرعون الأسرة الرابعة والعشرين«تف نخت» ، الذي حكم أقاليم الدلتا فقط. محققًا عدة انتصارات عظيمة في الأشمونين و منف قهر «باكن رنف» مصر و أصبح مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين الجديدة. و قضى وريث العرش «شباكا» على المقاومة في الدلتا ، التي كان يتولى حكمها آخر ملوك الأسرة الرابعة و العشرين»بوكوريس» آنذاك. و وفقًا للنبوءة ، التي نقلها هيرودوت ، فهي تحكي عن أن شباكا أمر بإحراق بوكوريس في «بوتو». و حاول شباكا الحصول على دعم الكهنوت المصري ، و طبقًا لما أمر به فقد تم توقيع «مذهب لاهوت منف» الشهير - و هو عبارة عن نصب تذكاري لعلم نشأة الكون في مصر القديمة. بلغت الأسرة قمة مجدها في عهد الفرعون «طهرقا» ، الذي ذُكر في العهد القديم. و توج هذا الفرعون بالحكم في منف- عاصمة مصر القديمة ، و حُفِظَ تمثاله في أسوان و «تانيس». تحركت القوات الأشورية من الشمال. و بعد محاولتين(٦٧١-٦٧٤ ق.م) تم احتلال مصر من قبل «آسرحدون» الذي قال «لقد استأصلت أصل الكوشيين من مصر». و قام بتقسيم مصر بين عشرين حاكمًا و أجبرهم على دفع الجزية. و قد رأى الفرعون الأخير للأسرة

الخامسة و العشرين في حلمه أنه قد تحول إلى ثعبانين ـ يرمزان إلى حكمه لمصر و كوش. و تولى العرش عام ٦٦٣ ق.م و تمكن من الإبحار عبر النيل من أجل ملاقاة العدو. و على الرغم من هجمات آشور بانيبال فإنها لم تؤت ثمارها. و كذلك مع انفصال ملوك الدلتا لم يتمكن من صد هجمات الآشوريين. فانتظر أن تأتيه المساعدة من أية مكان. و فقد «تانوات» آمون سلطته على منف ، و طيبة ، و مصر. دفع التهديد المستمر من جهة الشمال العشرين حاكمًا إلى توقيع معاهدة صداقة ثقة في منف. و دَعَمَ الآشوريون هذه الرابطة.

كان بسماتيك الأول واحدًا من أكثر الملوك الذين تولوا حكم مصر نجاحًا(٦٦٤ـ٦١٠ ق.م) و تولى كذلك حكم أهم مدن الدلتا-«أتريب» و«سايس». و كانت تواجهه مهمة في غاية الصعوبة و هي توحيد لواء مصر تحت راية واحدة ، حيث كان يحكم مصر آنذاك الكثير من الحكام الأجانب الموالين للآشوريين ، بينما ظهرت في الجنوب المملكة الكوشية. توجه بسماتيك الأول ، مؤسس الأسرة السادسة و العشرين ، صوب اليونانيين، و تطورت التجارة بصورة كبيرة بعد أن حصل على دعم العديد من الحكام. و تولى الحكم بمساعدة المرتزقة ، و قام بتوحيد مصر من خلال سياسته الحكيمة، و أصبح حاكمًا على الأشمونين. في عام ٦١٦ق.م قامت القوات المصرية بتقديم المساعدة للآشوريين في حربهم ضد البابليين.

و في ذلك الوقت أصبحت معابد الإله آمون ذات أهمية كبيرة ، حيث إنها تحولت إلى ساحة للصراعات السياسية. و هنا ظهر منصب «كاهنات الإله» اللواتي تناوبن على خدمته ملكات الكوشيين و الليبيين. و شكل أهالي طيبة دولة داخل الدولة ، و قد شملوا بحظوتهم أولئك الذين يسعون إلى اعتلاء العرش. تلاشت الانقسامات الداخلية و ظهرت أمام بسماتيك الأول الأخطار من جهة الشرق ، و تمثلت في المنشقين عن قوات المرتزقة ، و الاضطرابات في حامية إلفينتين. أظهرت الحملات العسكرية ضد العرب ، و ضم قبرص ، قوة البحرية المصرية ، و الحرب ضد نبوخذ نصر الثاني ، للعالم مدى سيطرة مصر وقوتها. لكن اقتراب وقت إحلال السلام و توقيع معاهدات الصداقة اقترن بخطر جديد ، و هو انهيار كل الوعود ، و هجوم الفرس ، الذين انتهوا من تأسيس دولتهم العظمى و قاموا باحتلال مصر.

و عانت مصر من شرالهزيمة في المعارك المضنية ضد قوات قمبيز ملك الفرس على مشارف «الفرما» ، لذلك لجأ المصريون إلى منف. لكن حصار العاصمة كان قد قرر مصير مصر. حيث إنها أصبحت جزءً من الدولة الفارسية العظمى. باستثناء واحة سيوه التي لم تقهر حيث تولى حكمها الإسكندر المقدوني قاهر الطغاة.

من أهم الأحداث التي حددت وضع مصر الاقتصادي و التجاري على الساحة العالمية في عهد دارا الأول ، كان إنشاء قناة مائية تربط بين البحر الأحمر و نهر النيل ، التي بدأ في تنفيذها الفرعون «نيكاو الثاني». و تضاءلت أهمية هذا الإنجاز العظيم مع ظهور قناة السويس.

ترتبط النهضة الأخيرة للإمبراطورية المصرية القديمة بالأسرة الثلاثين و ملوكها و هما نختنبو الأول و الثاني ، اللذان سعيا جاهدين إلى إعادة بناء المعابد ، و تطوير التجارة. و ارتبط بناء المعابد في جزيرة فيلة باسم الملك نيختنبو الثاني ـ حاليًا جوهرة مصر. و قام الفرس بالهجوم على مصر مرتين لكنهم لم يحققوا المرجو منهما.

في عام ٣٤٣ـ٣٤٢ ق.م قام الملك الفارسي ارتاكسركسيس بالنزوح إلى مصر و معه قوات يبلغ عددها ضعف القوات المصرية. و نجح الأخير في طرد آخر فراعنة مصر القديمة إلى الجنوب. بغض النظر عن الجهود المبذولة في تنظيم إدارة المرزبان* ، ضغط الفرس على مصر بصورة كبيرة ، و قاموا بمحو الثقافة العسكرية عند المصريين. فأصبحت هناك فكرة سيئة عن نوايا الفرس وظلت مستمرة لفترة طويلة داخل البلاد.

و نظرًا لتلك الظروف العصيبة انضم المصريون إلى قوات الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق.م بالطبع أخذوا تلك الخطوة بعد أن عرفوا بانتصارات ذلك القائد ، و تأكدهم من إمكانية انضمامهم إلى قواته. حيث كانت حكمة الإسكندر رائعة و بارعة مثل سياسته تمامًا. و بعد أن حصل على مباركة واعتراف خادم معبد آمون في واحة سيوة ، قُلِدَ جميع المناصب و الألقاب في منف. حيث نصبه الكهنة فرعونًا على مصر. آملين في إمكانية انفصال مصر عن الإمبراطورية الفارسية ، و كُلِفتَ إدارة الدولة إلى أناس من قوميات مختلفة. وأصبحت الأسكندرية هي عاصمة مصر و مركز الثقافة الهلينيستية. تعود

* - حاكم الولاية عند الفرس.

الجهود العظيمة و الاختيار الموفق لمكانها إلى المهندس المعماري دينوقراطيس من أجل تحويلها إلى مركز اقتصادي و ثقافي عملاق في مصر القديمة.

و بعد وفاة الإسكندر المقدوني ، اعتلى عرش مصر أسرة «لاجوس»، التي حملت اسم بطلميوس الأول ، القائد العسكري الإسكندر. و في عهده تم

إنشاء مكتبة و متحف الأسكندرية ، و إدخال سك العملة الفضية ، وحملت المدينة لواء عبادة الإله بطلميوس ، التي كانت تتوافق بالكامل مع التقاليد الفرعونية القديمة. و اتبع وريث العرش بطلميوس الثاني سياسة خارجية عظيمة ، حيث ازداد في عهده نقل القضاة في البحر الأحمر ، و قام كذلك بإرسال البعثات إلى بونت و المناطق الداخلية في إفريقيا ، و وصلت إلى مصر بضائع و حيوانات نادرة. فقد كان بطلميوس هو آخر ممثل لتلك الأسرة.

بعد انتهاء فترة حكمه ، و كما دون المؤرخون اليونانيون و الجغرافي سترابون أن الملوك قضوا حياتهم في ترف و أداروا شئون الدولة بصورة أسوأ من أسلافهم.

و حصل الكهنة على امتيازات كبيرة. و وفقًا لأحد المراسيم في سنة ١١٨ق.م فقد حصلوا على الحق في استخدام ثروات و ممتلكات المعبد. و أصبحت طبقات المجتمع المصري المختلفة تقوم ببناء و تزيين المعابد. بُنِيَتْ معابد إدفو ، و دندرة ، و طيبة ، و فيلة في عهد البطالمة فقد كانت تعتبر من روائع مهندسيهم المعمارين. و كان من بين النصوص التي نقشت على جدران تلك المعابد نصوصًا دينية ، و فلكية ، و عقائدية لم تقرأ حتى نهايتها وكذا حتى يومنا هذا.

لكن سطعت شمس روما على الشرق. فقد كان آخر ملوك البطالمة مجرد دمية في يد الدولة الرومانية. و وجه الحكام الثلاثة «قيصر»، و «بومبي»، و«كراسوس» جل اهتمامهم إلى مصر ، حيث كانت توجد الاضطرابات. وحمل آخر ملوك البطالمة وصمة قتل بومبي ، و تقاتل ضد زوجته و أخته ، الملكة العظيمة كليوباترا ، القوية ، صاحبة الشخصية القوية ، التي طمحت إلى الإطباق على زمام السلطة. و قد كان آخر فرص الملكة الشابة والذكية لتنفيذ ما طمحت إليه هو العسكري قيصر ، الذي كان مسكنه عبارة عن

خيمة متنقلة. و لم يخطئ حدسها حيث إنه عمل على حمايتها ، وتمكن من الانتصار على بطليموس الرابع عشر. فأنجبت له ابنًا. فاصطحبهما معه إلى روما ، و بقت معه حتى ذلك اليوم المشؤم- يوم مقتله.

آخر حادثة قضتها في حياتها - السنوات التي قضتها رفقة أنطونيو. المحاولة البائسة للرجوع إلى الماضي و هو ، توحيد إيزيس و أوزوريس مع ديمترا وديونيسوس في الثقافة الهلينيستية عن عصر الإمبراطورية الرومانية و في النهاية توحدت مصر و روما تحت لواءٍ واحد - و لكنها لم تكن إلا مجرد محاولة قدرية ، المسؤليات أم المصير - لكن الكارثة في معركة أكتيوم في سبتمبر عام ٣١ ق.م أصبح من المتعذر حلها. اندفع انطونيوس لالتقاط السيف ، بينما كليوباترا حاولت أن تعقد هدنة مع أوكتافيوس ، لكن هذا الحقير لم يكن يهتم لغير السلطة. فاندفع إلى خيمة كليوباترا ضاربًا بالوعودِ كافة عرض الحائط و أمر بقتل ابنها. مما نصت عليه الأسطورة ، فقد وصلت سلة مليئة بالفواكه إلى كليوباترا ، حيث كان يوجد بين الفواكه كوبرا سامة ، و بعد ذلك ماتت كليوباترا إثر لدغة هذا الصل. أصبحت مصر موردًا أساسيًا للحبوب إلى روما. في عام ٣٨٤ ق.م صدر مرسوم ينص على إغلاق المعابد ، و في عام ٥٣٥م طرد آخر كهنة إيزيس من معبد فيلة .

اختفت معهم الكتابة المقدسة للفراعنة. لكنهم ظلوا خالدين إلى الأبد. وسمع الفرعون الراقد داخل الهرم تلك الكلمات «أيها الملك ، أنت لم تذهب إلى عالم الموتى ، لأنك ما زلت بين الأحياء» بعد تطبيق هذه الفكرة على التاريخ المصري ، تشعر بالقوة العظيمة تنبعث من معابد الفرعون ، التي أصبحت ظاهرة الحضارة المصرية القديمة. و أظهر الحكام الأجانب ، الذين تولوا عرش مصر ، هذا الأمر عن طريق سفح الدماء في الواقع لقد انتهكوا النظام نفسه ، و بعد ذلك أغنوا أسلافهم و قدسوا تلك المعابد التابعة للسلطة على مدار مئات السنين. و كان يجب أن يتوافق نظام الحياة مع العالم الآخر، حيث تجسد في شكل لا مثيل له في الحضارة المصرية القديمة ، و يعود الفراعنة إلينا اليوم، موضحين لنا قوة تأثير الثقافة المصرية القديمة و الأساس المثالي القائم عليه نظام الدولة .